

المكتبة الجماهيرية

٣

الأعمال الكاملة

للشيخ البليغ، المجاهد الشهيد، القائد المحرض

أبي حسيب اللبدي

حسن محمد قائد

والذي قُتِلَ شهيداً بعبارة صليبية غادرة في وِزِيرِسْتَانِ عَلَى الْحُدُودِ
الْأَفْغَانِيَّةِ الْبَلَاكِسْتَانِيَّةِ، فِي شَهْرِ رَجَبِ ١٤٣٣هـ / يونيو ٢٠١٢م

حَقَّقَهُ وَجَمَعَهُ وَخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ:

أبو عبد الرحمن الزبير الغزوي

« غفر الله له وخطمه له بالشهادة في سبيله »

دار الكتاب العالمي

الأعمال الكاملة للشيخ المحب الشهيد

أبي حسيب اللبدي

الأعمال الأكلية

للشيخ البليغ المجاهد الشهيد القائد المحض

حسن محمد قائد

أبي يحيى اللبيني

كل الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٤٦ هـ / ٢٠٢٤ م

الطبع والتجليد:

Step Ajans Matbaa Ltd. Şti

Göztepe Mah. Bosna Cad. No: 11 Bağcılar / İstanbul Tel: 0212 46808426

Sertifika No: 45522

النشر والتوزيع: دار الكتاب العالمي

عنوان دار الكتاب العالمي: تركيا - استانبول - العمرانية

Yamanevler Mah. Küçüksu Cad. Bildircin Sok. No: 9 Dükkan: 1

Ümraniye / İstanbul

رقم الهاتف والتواصل:

00905397626695

bilgi@kureselkitap.com

www.kureselkitap.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأعمال الكاملة

للشيخ البليغ، المجاهد الشهيد، القائد المحرض

أبي محمد علي بن أبي الليث

حسن بن محمد بن قاسم
رحمته الله

والذي قتل شهيداً بعبارة صليبية غادرة في نيرستان على الحدود

الأفغانية الباكستانية، في شهر رجب ١٤٣٣هـ / يونيو ٢٠١٢م

حقيقته وجمعه وخرجه أحاديثه وعلق عليه :

أبو عبد الرحمن بن أبي الغزي

« غفر الله له وختم له بالشهادة في سبيله »

ربح البيع

(في فضل الجهاد والشهادة)

[سبعان ١٤٣٠ هـ / ٧ - ٢٠٠٩ م]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿*إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين وعلى من اهتدى بهديه وسار على سنته إلى يوم الدين. ثم أما بعد..

فيا من رضيتم بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ ﷺ نبياً ورسولاً اتقوا الله ﷻ؛ فإن تقوى الله ﷻ هي خير زادٍ كما قال الله ﷻ: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

كما تعلمون أيها الإخوة الأحبة؛ فإن الله ﷻ قد شرع لنا دين الإسلام الذي هو خاتم الرسالات والذي لم يرض الله ﷻ لعباده ديناً سواه، فقال ﷻ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وأكمل لنا النعمة وأتمها علينا بهذا الدين العظيم، فقال الله ﷻ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وأخبرنا الله ﷻ أن الهداية إلى صراطه المستقيم هي من نعمه التي يتفضل بها

على من يشاء من عباده؛ ولذلك فنحن نقول في كل ركعة من صلواتنا ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿[الفاتحة: ٦-٧]، أولئك الذين قال الله ﷻ عنهم: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

فالإسلام نعمة من الله ﷻ، ورحمة من الله ﷻ لخلقه، والهداية إلى الإسلام نعمة من الله ﷻ؛ فمن شرح الله ﷻ صدره له ونور قلبه بالهداية إليه فقد تفضل عليه بأعظم نعمة وأجل منة، فإن الهداية إلى الإسلام أيها الإخوة لا يمكن للمرء أن يتحصل عليها إلا بفضل خالص وعطاء من الله ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٠٠]، وقال الله ﷻ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

فالله ﷻ هو الذي هدانا إلى الصراط المستقيم، وهو الذي أكرمنا بأن نكون من أتباع سيد المرسلين ﷺ، وبحسب الانتساب إلى هذا الدين؛ افترق الناس إلى فريقين: إلى فريق الحق والهداية والصراط المستقيم وهم حزب الله المؤمنون، وإلى فريق الضلالة والشقاوة وهم حزب الشيطان اللعين، قال الله ﷻ: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]... إلى أن يقول في آخر الآية: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦]، وقال ﷻ في حق الشيطان: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

ففريق الهداية هو فريق أهل الحق وهم أتباع الرسل من لدن إنزال الله ﷻ كتبه عليهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأتباع الشيطان هم الأذلون الأذلون المكبوتون، قال الله ﷻ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [المجادلة: ٥]، وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: ٢٠].

وهذا الانقسام إلى فريقين: إلى فريق الإيمان والهداية وهم حزب الرحمن، وفريق الضلالة والكفر والشقاوة وهم حزب الشيطان، هذا الانقسام أخبرنا الله ﷻ أنه يقود إلى التدافع بين هذين الفريقين والصراع الذي لا ينقطع أبداً؛ قال الله ﷻ في حق الكفرة: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقال الله ﷻ: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وأخبرنا الله ﷻ عما يكنونه في صدورهم من الحسد والبغضاء، فقال الله ﷻ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وقال الله: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ١٠٥]، إذن هذا الصراع لا ينقطع أبداً.

فأما أهل الإيمان فهمتهم ومقصدهم هو هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور ومن الضنك إلى الرحمة ومن الضيق إلى السعة، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقال الله ﷻ لنيبه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]؛ فهو رحمة، ودين الإسلام دين الرحمة والهداية والسعة.

وأما حزب الشيطان فإنما يريدون من أهل الاستقامة والحق أن يميلوا عن الصراط المستقيم وأن يكونوا عبداً لشيواتهم، قال الله ﷻ: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النور: ١٩].

وهذا الصراع صورته متعددة، ومن بين صورته وهو أعلى درجاتها: الجهاد في سبيل الله، هذه العبادة التي شرعها الله ﷻ لتميز أهل الحق من أهل الضلال، ولتصفي صف المسلمين وتنقيه من شوائب الخبث؛ قال الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ

الطَّيِّبُ ﴿[آل عمران: ١٧٩]، وقال الله ﷻ: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [الأَنْفَال: ٣٧].

فإذن الجهاد في سبيل الله يميز أهل الهداية والاستقامة عن غيرهم، لماذا؟

لأن الجهاد في سبيل الله هو أعلى وأوضح مراتب الولاء لحزب الله المؤمنين والبراءة من حزب الشيطان الكافرين، أنت عندما تقول: أنا مُحِبُّ لِهَلَّةِ، ومَتَّبِعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وموَالٍ لِحِزْبِ هَلَّةِ الْمُؤْمِنِينَ؛ فبرهانك على ذلك ما هو؟ هو أن تُقدم نفسك التي خلقها الله ﷻ نُصْرَةً لِدِينِهِ الذي شرعه، وطاعةً لأمره الذي أنزله في كتابه، وعندما تُقاتل حزب الشيطان وأتباعه؛ فإن هذا إعلان للبراءة منهم ومن معبوداتهم ومن دينهم، وأعلى درجات البراءة وإعلان البغضاء والعداوة: أن تسعى في قتلهم وقتالهم، ولذلك كان الجهاد عنواناً حقيقياً على الموالاتة للمؤمنين والبراءة من الكافرين؛ فالإنسان حينما يكون في ساحة الجهاد وحينما يكون مؤدياً لهذه العبادة الجليلة؛ فهو بهذا يعلن ولاءه لله ولرسوله وللمؤمنين، ويعلن براءته من هؤلاء الكفرة المجرمين على جميع أصنافهم وبشتى نحلهم وميلهم.

أيها الإخوة: أكرمنا الله ﷻ بأن نكون من هؤلاء المؤمنين المجاهدين، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ولهذا جعل الله ﷻ الجهاد في سبيله عنواناً على الصِّدْقِ معه، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]، وقال الله ﷻ: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، فالجهاد هو عنوان الصِّدْقِ مع الله ﷻ، والمجاهدون هم الصادقون؛ فعلى المسلم أن يكون مع الصادقين كما أمره الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

لماذا صار الجهاد دليلاً على الصِّدْقِ مع إخلاص المرء وتجرده لله ﷻ؟

لأن فيه توفية صفقة البيع بين العبد وبين الله ﷻ، كل مسلم دخل في دين الله ﷻ وأعلن بأنه رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ ﷺ نبياً؛ فإنه بهذا الإعلان قد وقَّع صفقة بيع بينه وبين

الله ﷻ، وهي أعظم صفقة على الإطلاق، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]، وهذه الآية هي آية المبايعة مع الله ﷻ، وقد تضمنت أركان البيع كاملة؛ فهذه الصفقة فيها: المشتري وهو الله ﷻ، وفيها البائع وهو كل مؤمن صادق مع الله ﷻ، وفيها الثمن وهو الجنة، وفيها السلعة وهي النفوس والأموال، وفيها وثيقة العقد وهي القرآن والتوراة والإنجيل، إذن هي صفقة بيع كاملة بين العبد المؤمن وبين الله ﷻ.

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١١]، ما قال في الآية إن الله سيشتري، ولا إن الله يشتري، وإنما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى﴾ يعني أن تلك الصفقة قد انعقدت وتمت ومضت، فلا تراجع فيها وقع الاتفاق بين العبد وبين الله ﷻ بدخوله في دين الإسلام وعقد قلبه على أن يكون من أهل هذا الدين، فإذن نفسك التي بين جنبيك هذه قد بيعت، أنت لا تملكها، أنت الآن مطالب بأن تسلمها للمشتري وهو الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قنفوس المؤمنين نفوسٌ زكية طيبة، ولهذا ارتضاها الله ﷻ أن تكون سلعة في مقابل الجنة، لماذا؟ لأنها نفوسٌ زكية بالإخلاص لله ﷻ وبتوحيد الله ﷻ، ولم تتدنس ولم تتنجس بالشرك كما هو حال المشركين؛ قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]؛ فلذلك هؤلاء لا يستحقون أن يكونوا من أهل الجنة، كيف يدخل الجنة نجس؟! قال الله ﷻ: ﴿لَيْنَ أَشْرَكْتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال الله ﷻ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧]؛ فإذن الجنة لا يدخلها إلا مؤمن كما قال النبي ﷺ.

والمؤمنون درجات بحسب إيمانهم في الدنيا؛ فالإيمان بضعٌ وسبعون شعبة أعلاها لا إله

إلا الله وهو توحيد الله ﷻ وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والناس في هذا يتفاوتون تفاوتاً لا يعلم قدره إلا الله ﷻ.

قال سبحانه تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ فالإنسان إذن عندما يعد نفسه من حزب الله المؤمنين فقد صارت نفسه مبيعة إلى الله ﷻ؛ فعليك أن تسعى في البحث عن السوق الذي تُسلم فيه هذه السلعة، ما هي هذه السلعة؟

قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ وكما نعلم فإن كل الآيات التي جاءت في كتاب الله ﷻ وذكر فيها جهاد المال والنفس قدّم فيها الجهاد بالمال على الجهاد في النفس إلا في هذه الآية، قال الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٢]، قدّم الأموال على الأنفس، وقال الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ [التوبة: ٢٠]، قال الله ﷻ: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ٤١]، وقال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَجْرَةٍ تُنَجِّيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ [الصف: ١٠-١١]، يُقدّم ذكر المال على ذكر النفس؛ وذلك لأن الجهاد لا يمكن أن يُقام ولا أن تسيّر عجلته إلا بوجود المال.

ومن هنا فإننا رأينا الله ﷻ أعذر الفقراء الذين لا يجدون ما ينفقون في الجهاد لا يجدون الراحلة ولا الزاد ولا المال الذي يجاهدون به، قال الله ﷻ: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩١-٩٢]، ليس عندهم شيء ينفقونه ليجاهدوا في سبيل الله، إلا في هذه الآية فقد قدّم الله ﷻ النفس على المال؛ لماذا؟

لأن الموضوع موضع مساومة كما قال، قال ساومهم فأغلاهم الثمن طلب منهم أعلى شيء

[البحر: البسيط]

عندهم وهو نفوسهم، النفس هي أعلى عند المرء من ماله:

الْجُودُ بِالْمَالِ جُودٌ فِيهِ مَكْرُمَةٌ وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ^(١)
فالإنسان عندما يجود بنفسه في سبيل قضية من القضايا أو عقيدة من العقائد؛ فلا شك أنه يدل
على أنه يقدم تلك العقيدة أو تلك القضية على نفسه التي بين جنبيه؛ فقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾، في مقابل ماذا؟ قال ﷻ: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ بأن يكون لهم في مقابل نفوسهم
الجنة، وتأملوا -يا إخوة- هذه الصفقة؛ هذه النفوس التي يشتريها منا الله ﷻ هو الذي خلقها وسيردّها
عليك ومعها جنة عرضها السماوات والأرض، يريد منك فقط أن تُثبت صدق محبتك لله ﷻ، يريد منك
فقط أن تُثبت صدقك في تسليم السلعة التي طالبك بها، أما السلعة فالله غني عنها ﷻ، قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا
النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، وهذه النفس ستخرج منك شئت أم أبيت، كل
إنسان سيموت، قال ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ
وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨].

إذن هذه النفس ستخرج شئت أم أبيت فما عليك إلا أن تجتهد لتخرجها في الموطن الذي يحبه
الله ﷻ لتكون صادقاً موفياً في الصفقة التي بينك وبينه ﷻ.

إذن فالله ﷻ يشتري منا شيئاً هو أعطاه لنا وسيرده علينا إكراماً منه ﷻ ومعها جنة عرضها
السماوات والأرض، فقال الله ﷻ: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ وانظر أنه ما قال: اشترى من المؤمنين أنفسهم
وأموالهم بالجنة، وإنما قال: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ فأولاً ﴿إِنَّ﴾ حرف التوكيد حتى لا يبقى هناك شك أو
تردد عند البائع وهو المؤمن، ثم بعد ذلك قدّم الله ﷻ في هذه الآية الجار والمجرور ﴿لَهُمْ﴾ قبل
﴿الْجَنَّةَ﴾؛ لأنه يدل على الاختصاص -تقديم الخبر على المبتدأ- في مثل هذه المواطن كأن الله ﷻ
قال: بأن الجنة لهم وليست لغيرهم، كأنه يقول: بأن الجنة صارت مختصة بهم يعني تأكيد من الله
ﷻ باستحقاقهم لهذه الجنة وبأنهم سيستلمونها يقيناً إن هم صدقوا في السعي لتسليم هذه السلعة؛
فقال جل في علاه: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾.

(١) [قاله: مسلم بن الوليد. انظر: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحري (٢/١٥٦)].

تأمل أن ثمن نفسك - التي ستفقدتها حتماً يوماً من الأيام - جنة عرضها السماوات والأرض، جنة فيها رضوان الله ﷻ، جنة فيها رؤية الله ﷻ، جنة فيها رفقة النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، جنة فيها النعيم المقيم الذي لا ينقطع أبداً، جنة لا حزن فيها ولا نصب ولا وصب، نعيم الجنة أيها الإخوة، كل هذا تأخذه، جنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كل هذا تأخذه بمقابل أن تسلم هذه النفس التي ستفقدتها يوماً من الأيام شئت أم أبيت.

قال الله سبحانه وتعالى ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ ما هو المطلوب منا؟ ما هو البرهان على أننا جادون في تسليم هذه السلعة؟ أو أين هي السوق التي نسعى لنسلم السلعة فيها لله ﷻ؟

كل إنسان قد يدعي أنه يريد تسليم هذه السلعة ويريد أن يوفي بصفقة البيع التي بينه وبين الله ﷻ، إلا أن الله ﷻ ما ترك للدعاوى مجالاً، بل طالب بالبينه والبرهان والحجة الصريحة في ذلك، قال ﴿يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، من كان صادقاً جاداً في طلب الجنة في مقابل تسليم النفس فعليه بالقتال في سبيل الله، وما قال يجاهدون في سبيل الله، وإنما قال: ﴿يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ حتى لا يبقى للتأويلات مجال، حتى لا يأتي أحد ويقول: إنّ المقصود بذلك هو جهاد النفس، أو هو جهاد الشيطان، أو هو جهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو هو جهاد الدعوة إلى الله ﷻ، أو غير ذلك... لا إنما قال الله ﷻ: ﴿يُقْتَلُونَ﴾، وكلمة ﴿يُقْتَلُونَ﴾ كلمة عربية لها معنى محدد واضح: قاتل يقاتل قتالاً فهو مقاتل أو مقتول، كل إنسان يفهم ما هو معنى هذه الكلمة.

إذن فالله ﷻ يطالب كل مؤمن أن يكون مجاهداً مقاتلاً؛ يعني رجلاً عسكرياً وهذه هي سيرة النبي ﷺ، النبي ﷺ كان هو المعلم لأصحابه وكان هو الداعي إلى الخير، وكان المصلح بين الناس، وكان خطيب الجمعة ﷻ، وكان الزوج في البيت، وكان قائد المعارك، كان يخوض المعارك بنفسه ﷻ، لا يرسل الجيوش ويبقى في المدينة، وإنما يكون في أول الصف؛ حتى قال الصحابة ﷻ: «كُنَّا إِذَا حَمِيَ الْوَطَيْسُ نَحْتَمِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَشْجَعُنَا مِنْ يَحَاذِيهِ»^(١)؛ فإذا اشتد البأس وبدأت

(١) [رواه أحمد: (١٣٤٧)]، عن عليّ بلفظ: «كنا إذا احمر البأس، ولقي القوم القوم، اتقينا برسول الله ﷻ، فما يكون منا أحد أدنى من القوم

الرؤوس تتطاير وتقابل الأبطال مع الأبطال كان النبي ﷺ في أول الصف والصحابة يحتمون به، فالشجاع فيهم من يكون بجانبه، هذه سيرة النبي ﷺ؛ أي أن النبي ﷺ كان يقبض السيف بيده ويضرب به الأعناق، لم يقل أنا رسول الله ﷺ فلا جهاد عليّ، ولم يقل: إنني سأبقى مشتغلاً بتعليم الناس، بل هذا من العلم الذي يجب أن يُعلم للناس بالقول والفعل.

والله ﷻ علّمنا في الجهاد كيف نقاتل ونقتل أعداءنا، قال الله ﷻ: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤]، الله ﷻ يعلمنا هذا، وقال الله ﷻ: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَتِيَ مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢].

إذن من أراد أن يكون مؤتسباً بالنبي ﷺ سواء كان عالماً أو متعلماً أو تاجراً أو داعية أو خطيباً أو طبيباً أو غير ذلك؛ فعليه أن يجتهد ليأتسي بالنبي ﷺ في كل شيء، ومن ذلك القتال في سبيل الله، أما أن يعيش الإنسان حياته كلها لا يعرف من السلاح شيئاً، ولم تغبر قدماه في سبيل الله يوماً واحداً، فهذا كيف يكون مؤتسباً أو متبوعاً للنبي ﷺ؟ إذن لا بد علينا -أيها الإخوة- أن نجتهد لأن نقتدي بالنبي ﷺ في كل باب من أبواب الطاعة والسنن والخير.

ثم قال الله ﷻ: ﴿يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وتعرفون فضل الجهاد في سبيل الله والآيات والأحاديث الكثيرة التي أنزلها الله ﷻ أمراً بالجهاد ونهياً عن تركه، وتحذيراً من التفريط فيه، ومدحاً لأهله، وإخباراً بما أعدّه الله ﷻ لهم، قال الله ﷻ: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥]، والله ﷻ يقول ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٠]، وقال الله ﷻ: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ [النساء: ٧٥]؛ يعني: وفي سبيل إنقاذ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان إلى آخر الآية، والله ﷻ يقول: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ [النساء: ٧٤]، فالدنيا عندهم لا قيمة لها؛ لأنهم يطلبون ما عند الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤]، وقال لنبيه ﷺ: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِيضَ﴾

المؤمنين ﴿النساء: ٨٤﴾.

والأحاديث في فضل الجهاد كثيرة، وقد ذكرنا منها أحاديث في مواطن متعددة، ويكفينا قول النبي ﷺ في هذا الموطن: (والذي نفسي بيده لولا رجال من أمتي لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً)^(١)، هذا كلام رسول الله ﷺ؛ يعني: لِمَا في الخروج في السرايا من الفضل والأجر لولا أن هناك رجالاً من المؤمنين الفقراء والضعفاء الذين لا يتحملون مفارقتي في كل حين فأقعد تطيباً لنفوسهم: (والله ما قعدت خلف سرية)؛ يعني ما أرسلت سرية وقعدت وراءها، بل كنت في هذه السرية، فكيف بمن يقضي عمره كله ولا يخرج ولا في سرية واحدة في زمن؟! وهو زمن الجهاد والقتال حيث تسلط الكفرة من كل ناحية على المسلمين، وينكلون بهم على رؤوس الأشهاد جهاراً نهاراً، كل أحد يرى ما يصيب المسلمين والإنسان جالسٌ إما في مدرسته، وإما في مسجده، وإما في عيادته، وإما في وظيفته أو في دكانه وكأن هذا لا يعنيه، وكأنه ليس جزءاً من هذه الأمة لا يصيبه ما يصيب إخوانه المسلمين، النبي ﷺ يقول: (مثل المسلمين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)^(٢).

فإذن كل مسلم ينبغي أن يكون مجاهداً مقاتلاً في سبيل الله، وأعداء الله ﷻ من اليهود والنصارى والمرتدين ما تسلطوا على هذه الأمة وما أذلوها وما أذلوا شبابها وشيوخها إلا عندما فقدت هذه الصفة صفة الجهاد، وصفة القتال في سبيل الله؛ ولذلك ففي كل الدول الآن يعتبر اقتناء السلاح تهمة يعاقب عليها القانون، والأصل في المسلم أن يكون صاحب سلاح وأن يكون مقاتلاً مجاهداً، والآن يقول لك: هذا حُكْم عليه عشر سنوات، لماذا؟ لأنه وجدوا عنده سكين بدون ترخيص! أو وجدوا عنده مسدس، أو وجدوا عنده «كلاشن»، أو غير ذلك من الأسلحة التي بها أذل أعداء الله أمة الإسلام.

(١) [رواه -بألفاظ قريبة- أحمد: (٨٩٨٢)، والنسائي: (٣١٣٢)، وصححه الألباني]

(٢) [تقدم في: (ص ٢٩٠٨)].

وأما الصحابة رضي الله عنهم فكانوا جميعاً مقاتلين، فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما خلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، خلفه على المدينة، قال له: تبقى على المدينة؛ لأن فيها نساء وأطفال لا بد أن يبقى من يقوم عليهم، خرج علي بن أبي طالب عندما خرج الجيش، فبدأ المنافقون يتكلمون على علي رضي الله عنه، إنما قعد خوفاً، ومع أنهم لم يخرجوا إلا أنهم يلمزون علياً! ولا يلمزون أنفسهم! فخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقال: «تركتني مع النساء والأطفال»؛ أراد أن يخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) ^(١).

إذن أيها الإخوة؛ المسلم عزيز دينه والمسلم رجل مجاهد، والآن تأملوا -يا إخوة- كيف انقلبت الموازين، فالآن من التهم التي توجه للمسلم أنه مجاهد!! صحيح أم لا؟ فيقول لك: هذا رجل مجاهد، ومتى كان الجهاد تهمة أو جريمة يعاقب عليها الإنسان!؟

هذا هو الأصل، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما ترك قوم الجهاد في سبيل الله إلا عمهم الله بعذاب) ^(٢)، ولا يلتفت لما ينطق به هؤلاء من التسفيه والتحقير وغير ذلك.

وقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لا يستطيع أحد أن يحك هذه الآية وأن يمحوها، فهي آية محكمة في كتاب الله صلى الله عليه وسلم، وهذا القتال في سبيل الله ليس في سبيل الأهواء، لا يقاتل الإنسان انتصاراً لقبيلة، ولا لحمية جاهلية، ولا يقاتل انتصاراً لجماعته ولا لوطنه ولا لغير ذلك، وإنما قتاله في سبيل الله يعني في سبيل إعلاء كلمة الله صلى الله عليه وسلم؛ فلا بد أن نستحضر هذا المعنى -أيها الإخوة-، نحن إنما نقاتل لتكون كلمة الله صلى الله عليه وسلم هي العليا، وإنما نقاتل لتكون شريعة الله صلى الله عليه وسلم فوق كل شريعة، وإنما نقاتل ليكون حكم الله صلى الله عليه وسلم فوق كل حكم، لتكون شريعة الله صلى الله عليه وسلم فوق الشريعة الدولية، ليكون حكم الله صلى الله عليه وسلم فوق أحكام مجلس الأمن، بل ليزيل أحكام مجلس الأمن، لا ليقيها، هذه الأحكام الجاهلية أمرنا بإزالتها؛ قال صلى الله عليه وسلم: ﴿وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

فإذن ﴿يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ نيتنا ومقصدنا إنما هو إرضاء الله صلى الله عليه وسلم؛ فلذلك لا نلتفت إلى ما يقول

(١) [متفق عليه، البخاري: (٤٤١٦)، ومسلم: (٢٤٠٤)].

(٢) [تقدم في: (ص ٦٧٠)].

هؤلاء؛ فإذا رضي الله عنك فماذا يضرك سخط الناس؟! إذا مدحك الله ﷻ فماذا يعينك أن يذمك الناس؟! إذا رفعك الله ﷻ في الدرجات؛ فهل يضرك أن يسعى أعداؤك إلى أن ينزلوك في الدرجات؟ لا، أنت في طريقك إلى الله ﷻ فلا تبالي، كما قال الله ﷻ: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]، تتكلم الإذاعات، تتكلم الفضائيات، تُعقد الندوات، يتكلم المفكرون، يتكلم المحللون، يأتي السفهاء، كل هذا لا يعيننا؛ لأننا نسلك طريقاً توصلنا إلى الله ﷻ، فقال الله ﷻ: ﴿يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ليعين أن السوق التي يقدم فيها الإنسان سلعته ليستلمها منه الله ﷻ في ساحة الجهاد؛ ولذلك الله ﷻ جعل الجهاد تجارة، فقال جل في علاه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَجْرَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠]، بيع وشراء ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ أُتْبَعَاءَ مَرَضَاتٍ أَلَلَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ [النساء: ٧٤]؛ فإذا الإنسان لا يكفيه أن يدعي أنه صادق مع الله ﷻ وتتهياً له سبل الجهاد ولا يحدث بذلك نفسه، قال النبي ﷺ: (من لم يغز)، فأنت أيها المسلم سل نفسك: قد يكون الواحد انطبق عليه هذا الحديث فكيف يلاقي الله ﷻ؟!!

قال ﷺ: (من لم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق)^(١)، الحديث في صحيح مسلم، ولا يكفي أن يحدث الإنسان نفسه بالأمان: والله أتمنى أن أغزو... والطريق مفتوح، والسبيل ميسر، والزاد موجود، والمال عندك، وساحة الجهاد موجودة، وسوق الجهاد قائمة، ومع ذلك يقول: أنا أتمنى أن أجاهد في سبيل الله! ما الذي يمنعك؟! ما الذي يحول بينك وبين الجهاد في سبيل الله؟! فلا بد أن يحتاط المرء لنفسه.

قال الله ﷻ: ﴿يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فيحصل من وراء قتالهم: ﴿فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ يقتلون أعداء الله ﷻ الذين شاقوا الله ورسوله؛ يعني كانوا هم في شق والله ورسوله في الشق الآخر، ويحادون الله

(١) [صحيح مسلم، وقد تقدم في: (ص ٦٩١)].

ورسوله ويفتنون الذين آمنوا عن دينهم ويشركون بالله ﷻ، يقاتلون هؤلاء الكفرة؛ لأنهم نجس يطهرون الأرض منهم.

قال الله ﷻ: ﴿فَيَقْتُلُونَ﴾ إذن قتال الكفار وقتلهم بالأحكام الشرعية المعروفة في أبواب الجهاد هذا شيء ممدوح شرعاً يحبه الله ﷻ، قال النبي ﷺ: (لا يجتمع كافرٌ وقاتله في النار أبداً)^(١)؛ إذا قتل مسلمٌ كافراً فلا يجتمع معه في نار جهنم أبداً، إذا مات على الإيمان والتوحيد؛ فقال الله ﷻ: ﴿يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ﴾ أعداء الله ﷻ الكفرة، ﴿وَيُقْتَلُونَ﴾ يعني: وينالون الشهادة في سبيل الله ﷻ، وليس معنى هذا أن الإنسان لا ينال الجنة التي وعد الله ﷻ أن يعطيها لمن أسلم نفسه إلا إذا قُتِل الإنسان مجاهداً في سبيل الله، لا، الذي أراده الله ﷻ منا هو أن نسعى للجهاد، أن نسعى للقتال، أن نسعى لطلب الشهادة، ثم إذا قُتِل الإنسان فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وإن مات على فراشه وكان صادقاً في طلب الشهادة في سبيل الله؛ فقد مات وهو شهيد، قال النبي ﷺ: (من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء ولو مات على فراشه)^(٢).

وفي حديث آخر صححه بعض أهل العلم أن النبي ﷺ قال: (من فصل في سبيل الله - أي من خرج في سبيل الله - فمات أو قُتِل أو وقصته دابته - أي سقط من دابته فمات - أو لدغته هامة - أي لدغته عقرب أو حية - أو مات على فراشه أو مات بأي حتفٍ مات - بأي شيءٍ مات - فإنه شهيد وإن له الجنة)^(٣)، والله ﷻ يقول في كتابه: ﴿وَلَيْنَ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّم لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٧]، والله ﷻ يقول: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ [الحج: ٥٨].

إذن أيها الأخ المجاهد أنت في طريق الجنة إلى الله ﷻ، بل أنت في طريق الشهادة إن كنت صادقاً في طلبها، وأنت في ساحة الجهاد تقف عند باب الجنة، قال النبي ﷺ: (إن أبواب الجنة تحت ظلال

(١) [صحيح مسلم: (١٨٩١)].

(٢) [تقدم في: (ص ١١٣٧)].

(٣) [رواه أبو داود: (٢٤٩٩)، والحاكم: (٢٤١٦)، وقال: «حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»].

(السيوف)^(١)، وقال النبي ﷺ: (الجهاد في سبيل الله بابٌ من أبواب الجنة ينجي به الله من الهم والغم)^(٢)؛ فمالك وللدنيا أنت واقف عند باب الجنة تنتظر أن يُفتح لك في كل لحظة - لا أقول في كل يوم - في كل لحظة تنتظر أن يُفتح لك باب الجنة؛ لتخرج من دار الهم والغم والنصب والتعب وغير ذلك، الشهادة في سبيل الله.

والنبي ﷺ يقول: (ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء، إلا الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع إلى الدنيا ليقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة)^(٣)، هذا شيء عظيم أيها الإخوة؛ يعني: لا يوجد أحد يدخل الجنة ويرى ما فيها من النعيم المقيم والإكرام من الله ﷻ فيُقال له: ما رأيك أن ترجع إلى الدنيا ونعطيك كل ما على الأرض؟ يقول: لا، أنا لا أريد أن أرجع إلى الدنيا، إلا الشهيد، فالشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا ليس مرة واحدة، بل عشر مرات، ولكن يرجع إلى الدنيا لينال ما عليها من شيء؟! لا، فقط يريد أن يرجع ليكرر الشهادة مرة أخرى حتى يُقتل مرة أخرى عشر مرات، يريد أن تأتيه الطلقة مرة أخرى، والشظية مرة أخرى، والقصف المرة الرابعة، اللغم.. وهكذا لما يرى من الكرامة عند الله ﷻ، لا يتمنى أن يرجع إلى الدنيا ليزور والده، ولا ليجلس مع أمه، ولا ليرى أبناءه ولا زوجته، ولا ليجلس مع إخوانه المجاهدين الذين أحبهم وأحبوه، لا، لا، لا.. هذا لا يريده، إنما يريد أن يرجع إلى الدنيا ليزوق حلاوة الشهادة هذه الحلاوة التي يريدها لا تنقطع عنه أبدًا إكرامًا من الله ﷻ.

إذن ليحرص أحدنا لأن يكون من هؤلاء أيها الإخوة: (من سأل الله ﷻ الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء ولو مات على فراشه).

فقال الله ﷻ ﴿يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: ١١١]، ويا أيها الإخوة: كما أن المجاهدين متفاوتون في الدرجات في الجنة؛ ف كذلك الشهداء ليسوا على مرتبة واحدة، والنبي ﷺ

(١) [تقدم في: (ص ١٠٧٦)].

(٢) [رواه أحمد: (٢٢٦٨٠)، وصححه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب: (١٣١٩)].

(٣) [متفق عليه، البخاري: (٢٨١٧)، ومسلم: (١٨٧٧)].

يقول: (إن في الجنة مئة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض)^(١)، هذه للمجاهدين، يدخل فيهم الشهداء وغيرهم، وقال ﷺ عن الشهداء: (القتلى ثلاثة: رجل مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتل حتى يُقتل)، قال النبي ﷺ: (فذلك في خيمة الله)، وفي رواية: (في جنة الله لا يفضلُه النبيون إلا بدرجة النبوة).

المرتبة الثانية: قال ﷺ: (رجلٌ مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً)، ارتكب من السيئات، قال النبي ﷺ في حق هذا: (ممصِصَةٌ محت ذنوبه وخطاياها)؛ يعني الشهادة غسلت ما عنده من الذنوب والخطايا: (فإن السيف محاء الخطايا يدخل من أي أبواب الجنة الثمانية شاء) هذا الثاني.

وأما الثالثة: فقال النبي ﷺ: (رجلٌ منافقٌ يجاهد بنفسه وماله حتى إذا لقي العدو قاتل حتى يُقتل، قال: فذلك في النار فإن السيف لا يمحو النفاق)^(٢)؛ نسأل الله العافية.

وقال الله ﷻ: ﴿يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ حتى لا يبقى هناك أدنى تردد أو شك في قلب المؤمن وهو مقدم على الله ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ يعني هذا البيع وعد الله ﷻ عليه وعداً أوجبه على نفسه فهو محقق لا محالة، وهذا الوعد الحق قد دوّنه الله ﷻ وذكره في أشرف كتبه: ﴿وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ التوراة التي أنزلها الله على موسى، والإنجيل الذي أنزله الله على عيسى، والقرآن الذي أنزله الله على محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وحتى لا يبقى هناك أدنى تردد بعد هذا التأكيد قال الله ﷻ: ﴿وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ﴾ أيوجد أحد أوفى بالعهد من الله ﷻ؟! يعني: لا أحد؛ فإذا لا ترتابوا ولا تترددوا ولا تشكوا؛ فأنتم في طريقكم إلى الله ﷻ، في طريقكم إلى الجنة فما عليكم إلا

(١) [رواه البخاري: (٢٧٩٠)].

(٢) [تقدم في: (ص ١١١٣)].

أن تصدقوا وتخلصوا لله ﷻ حينما تقدمون هذه السلعة لله ﷻ، بعدها ينتهي كل شيء من الهموم والغموم والضيق والكدر والمطاردات وغير ذلك، انتهى كل شيء، في لحظة تخرج من هذه الدنيا تجد نفسك في نعيم لا ينقطع أبدًا.

والنبي ﷺ وصف الجنة وصفًا كثيرًا، ثم قال بعد ذلك: (وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)^(١)، نعيم لا يتصوره أحد، ولم تسمع به أذن، ولم تره عين.

ولذلك فالنبي ﷺ حينما سُئِلَ: من أفضل الشهداء؟ قال: (الذين يلقون في الصف الأول)؛ لأنهم مقبلون على الله ﷻ وهم على يقين أنهم قادمون على ما وعدهم الله ﷻ به، لا يلتفتون إلى الدنيا، ولا ينظرون وراءهم، ولا يفكرون في شيء من شهواتها، ولا من مصائبها، هم مقبلون على الله ﷻ، ثم قال النبي ﷺ: (لا يلفتون وجوههم أولئك يتلبطون في الغرف العلاء من الجنة - يتقبلون في الغرف العلية في الجنة - ويضحك إليهم ربك، وإذا ضحك ربك إلى عبدٍ فلا حساب عليه)^(٢).

فقال الله ﷻ: ﴿وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١]، ما زال حتى يتأكد هذا المعنى ويصبح في قلب كل مؤمن أمرًا قطعيًا لا تردد فيه؛ قال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾ [التوبة: ١١١]، كونوا مستبشرين بهذا البيع، قال ﷻ: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]، نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من هؤلاء المؤمنين المتقين الصادقين المخلصين الذين يختم لهم بشهادة في سبيله ﷻ إنه سميعٌ قريب.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين



(١) [صحح البخاري: ٣٠٧٢].

(٢) [تقدم في: (ص ١٠٧٩)].